جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة –

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

السنة الجامعية 2023-2024

محاضرة المؤسسة العسكرية البرية والبحرية **د/ فهيمة عمريوي**

المحاضرة الأولى: تكوين الجيش الانكشاري بالجزائر.

إن دراسة موضوع المؤسسة العسكرية البرية والبحرية يستدعى حتما فهم كيفية ارتباط الجزائر بالباب العالي وذلك بالتعرض للظروف التي مر بها المغرب الإسلامي وخاصة الجزائر خلال نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر الجزائر، والاحتلال الإسباني للسواحل الجزائرية، ونشاط الإخوة بربروسة بالمغرب.

تميز القرن السادس عشر بوجود عالم مسيحي قوي يوجد في الضفة الشّماليّة من البحر المتوسّط شعاره الصليب، وعالم مسلم ضعيف يقع في الضفة الجنوبية للمتوسط. وفي هذا الإطار ندرس ارتباط الجزائر بالباب العالي.

1-أوضاع المغرب الأوسط من أواخر القرن الخامس عشر إلى مجيء العثمانيين:

عرفت بلاد المغرب عموما في القرن الخامس عشر ميلادي فوضى سياسية واضطراباً إقليمياً، تمثل في انقسامها إلى مجموعة من الإمارات والمشيخات والقبائل المستقلة فنجد مشيخة الجزائر تتصدرها قبيلة الثعالبة، وإمارة كوكو تشمل القسم الغربي من جبال القبائل، أما قلعة بني عباس فكانت تابعة للأمير عبد العزيز الحفصي مما شجع إسبانيا على احتلال أجزاء كبيرة من السواحل المغربية منها: المرسى الكبير عام 911هـ 1505م، كما استولى " Pedro Navaro " على ميناء وهران عام 915هـ 1509م، بعدها تم إحتلال مدينة بجاية عام 916هـ 1510م. ثم وقعت في أيديهم مدن عدة في الساحل الإفريقي مثل مدينة الجزائر، وتنس ومستغانم وشرشال ودلس. وفي خضم هذه الظروف ظهر الأخوان "عروج" و "خير الدين بربروس" في عرض البحر المتوسط حيث لعبا دورا هاما في تعجيل الأحداث السياسية بالمغرب العربي خلال العقد الثاني من القرن السادس عشر الميلادي.

وفي سنة 923هـ 1518م تمكن"عروج" من السيطرة على مدينة تلمسان بعدها توجه الإسبان إلى المنطقة وفرضوا عليها حصارا ، مما اضطره إلى الانسحاب بعد تخلي السكان عنه وأثناء عودته لقي حتفه على يد الإسبان عن عمر يناهز الأربعين سنة.

إن الظروف الصعبة التي كانت عليها الجزائر والمتمثلة أساسا في ازدياد الحملات الأسبانية مقابل قلة الأسلحة والذخيرة إضافة إلى تحالف أمير تلمسان" أبي حمو الثالث" مع الإسبان(جعلت خير الدين يدرك استحالة الصمود في المنطقة اعتمادا على إمكانياته الذاتية، فأصبح يتطلع للعودة إلى الشرق خاصة بعد أن حققت الدولة العثمانية عدة انتصارات هناك فاستنجد بالسلطان العثماني "سليم الأول"، حيث بعث إليه "أبا العباس أحمد بن القاضي" على رأس وفد حاملاً رسالة تصور الوضع المتأزم الذي ألت إليه الجزائر، مع طلب الدخول تحت حماية الدولة العثمانية.

عندما وصل الوفد الجزائري (و كان محملا بالهدايا) إلى استانبول استقبل بحفاوة من قبل السلطان العثماني، وقد استجاب إلى نداء الجزائريين، وعلى إثر ذلك أرسل إلى خير الدين مع الوفد:

2000 إنكشاري واختارهم من أبرز جنده، المتمرسين على القتال إضافة إلى 4000 متطوع

الذخيرة أي أسلحة

صنجاق أو راية

فرمان التولية ونصب فيه خير الدين حاكما على إيالة الجزائر التي صارت إحدى إيالات الدولة العثمانية.

الخلعة أو قفطان التولية.

أدى التحاق الجزائر بالباب العالي إلى تغيير موازين القوى في غرب البحر المتوسط، وتحولت مدينة الجزائر من مدينة صغيرة إلى عاصمة إيالة الجزائر، فجزائر بني مزغنة بعد حملة شارلكان تلقب بالجزائر المحروسة، وأظهرت قوتها وأظهرت قوتها في مواجهة الأطماع الأوروبية لأزيد من ثلاث قرون. وهذا بفضل المؤسسة العسكرية بشقيها البري والبحري التي سنتاولها بالتفصيل من حيث أصول عناصرها وتنظيماتها وفرقها ودورها في مختلف الجوانب.

قبل التعرض للتجنيد في الجزائر نحاول تسليط الضوء على الإنكشارية في الدولة العثمانية نظرا للعلاقة التي تربط الولاية بالمركز.

- الانكشارية في الدولة العثمانية:

يعتبر الجيش الإنكشاري أداة أساسية صنعت مجد سلاطين آل عثمان، وساهمت في تماسك الإمبراطورية العثمانية وتوسعها وبذلك فإن قوته تعكس بوضوح قوة الإمبراطورية.

إن تخوف السلطان العثماني "أورخان" من تحزب الجيوش العثمانية إلى قبائلهم جعله يرحب بفكرة " قارة خليل جندرلي" والمتمثلة في إنشاء جيش مكون من أسرى الحرب المسيحيين، الذين يتراوح أعمارهم ما بين 10 إلى 20 سنة. وبعد أن كان التجنيد يقتصر على فئة المراهقين، ظهر نظام الدفشرمة أو ضريبة الغلمان، حيث كان يتم جمع أبناء المسيحيين كل خمس أو سبع سنوات وكان عددهم يصل في كل مرة إلى حوالي ألف طفل، كما كان السلطان العثماني يرسل كل ثلاث سنوات وفدا إلى منطقة الروملي للقيام بالمهمة نفسها ثم تحولت في عهد "بايزيد الأول" (1389- 1402م) إلى عملية دورية. وبعد استقدامهم، كان يتم تلقينهم تعاليم الدين الإسلامي واللغة العثمانية وتحضيرهم بدنياً للوظيفة المستقبلية الموكلة إليهم، وهو ليس بالأمر الهين، فالعملية تطلبت وقتاً طويلاً لمحو كل الصلات التي تربطهم بأوطانهم وذويهم، وحتى بدينهم المسيحي، بحيث أصبحوا لا يعرفون أبا إلا السلطان، ولا حرفة إلا الجهاد.

وبعد هذا التكوين يتم تحويل المتفوقين منهم إلى خدمة السلطان ووزرائه. أما البقية فيوجهون إلى الحاميات العسكرية أو الإيالات العثمانية الأخرى، وبذلك أصبح أبناء المسيحيين من المقربين لسلاطين آل عثمان ووقفوا إلى جانبهم ضد أبناء جلدتهم ومواطنهم الأصلية. وهو ما جعل المسلمين في المدن الحضرية الكبرى يستعملون مختلف الطرق لتجنيد أطفالهم وفقا لنظام الدفشرمة من أجل الاستفادة من الامتيازات الممنوحة لهم، في حين فضل الكثير من الآباء المسيحيين دفع الجزية مقابل عدم تجنيد أبنائهم. كما لجأت بعض العائلات إلى تزويج الأولاد الذين بلغوا الحلم لأن القانون العثماني كان يمنع أخذهم بعد الزواج.

وبعد أن جمعت الدولة العثمانية عددا لايستهان به، توجهت بهم إلى شيخ الطريقة البكداشية "الحاج بكداشي" الذي دعا لهم بالخير والنصر على الأعداء وأطلق عليهم اسم "يني تشري ، أي الجيش الجديد، الذي ارتبط ارتباطا وثيقا بالطريقة البكتاشية فكان يطلق عليهم اسم " جنود البكتاشية "، وأحيانا أخرى " بأوجاق البكتاشية "، أو "أبناء الحاج بكتاش "، غير أن هذا النظام فقد فعاليته بدءا من سنة 976هـ/ 1568م، عندما سمح لأبناء الانكشارية المتقاعدين بالدخول في صفوف الانكشارية، وفي سنة 1003هـ/ 1594م سمح للعناصر المسلمة أيضا بالدخول في هذا النظام شريطة تمتعهم باللياقة البدنية وبذلك حل نظام التجنيد عن طريق التطوع بدل نظام الدفشرمة.

- كيفيّة وتكاليف تّجنيد المتطوعين إلى الجزائر:

منذ 1519 أصبحت تتوافد على الجزائر دفعات من المتطوعين، كانت نواتها القوّة الّتي أرسلها السّلطان سليم الأوّل سنة 1520م كما سبق ذكره.

قبل التعرض لكيفية التجنيد من المهم الإشارة إلى أن المعطيات والرصيد الوثائقي المتعلق بالتجنيد قليل جدا فيما يخص القرنين السادس والسابع عشر وعلى النقيض من ذلك نلاحظ توفر العديد من المعطيات خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر.

كانت عملية التجنيد متمركزة في الأناضول وبصفة خاصة في مدينة أزمير فهذه المدينة كانت الجزائر تملك مقراً بالمنطقة يُسمى خان الجزائر، الذي احتوى على اثنين وثلاثين غرفة موزعة على طابقين سفلي وعلوي وضّم أيضا مسجد ومخازن، وقد تم تجديد بنائه من مال البايلك في عهد الداي حسن باشا (1791-1798م)، وقد أشرف على إعادة تجديده البولداني عثمان.

وقد تولى إدارته مجموعة من الموظفين على رأسهم وكيل يعنيه الباشا في الجزائر، يُسمى "بالباشا دايى" أو باش "دائي" ويعمل تحت أوامره عدة موظفين منهم:

المفتي: المكلف بالجوانب الروحية والاجتماعية والنظر في التظلمات والشكاوى في حالة حدوثها، وأيضا اطلاع الداي بما يجري في الخان إذ وردت إلى الدايات العديد من الرسائل في هذا الجانب، منها ورد ما يوجد بالخان إثر وفاة الباشدايات أو تخليهم عن مناصبهم، ونظرًا لأهمية منصبه كان يراسل الدايات في الإيالة مثله مثل الباش دايات. ومن المفاتي نذكر الحاج خليل مفتي الجزائر في أزمير.

خوجة الباش دايي: لم تحدد الوثائق مهامه يبدو أنه كاتب الباش دايي ومن المساعدين المهمين في تسيير الخان، وكان بإمكانه مراسلة الدايات إذ وردت عدة رسائل مرسلة من الخواجات إلى الدايات بخصوص قضايا متعلقة بالخان.

دائيات" أو "دايي". لهم مهام متعددة منها الخروج لضرب الطبل والبحث في الطُرق والقرى عن المتطوعين.

سردار: أي الأمين أو الكاتب الخاص بالخان، وتتمثل مهمته في تدوين كل ما يتعلق بمصروف الخان وتركات المتوفين به وغيرها.

الحُراس: مهمتهم بحراسة أبواب الخان.

العلمدار: المسؤول عن رفع الراية فوق الخان.

كما كان للجزائر وكلاء آخرون، في مدن أخرى مثل أولكون، تونس، مصر، الإسكندرية، طرابلس الغرب، ساقز وخانية بجزيرة كريت، ومن الباش دايات بوكالات هذه المناطق نذكر بلال أغا في مصر، وعلي خوجة زاده في جزيرة كريت.

وتمثلت مهام الوكلاء شكل خاص في تجنيد المتطوعين لإيالة الجزائر، ولم تكن هذه الطريقة الوحيدة للتجنيد بل كانت هنا طرق أخرى إذ كان الدايات يرسلون من وقت لآخر وفودًا من الجيش الإنكشاري يترأس كل وفد ضابط للقيام بنفس المهام، ففي 20 جمادى الأولى من سنة 1215هـ/20 أكتوبر1800م أرسل الداي مصطفى باشا (1798-1805) اثنا عشرة شخصًا برئاسة ضابط برتبة بلكباشي باتجاه جزيرة رودس، وبعد سنة عاد الوفد بـ117 متطوعا، وفي سنة 1215هـ/1800م خرجت بعثة أخرى من الجزائر إلى أزمير مكونة من اثنان وعشرون شخصًا، وبعد سنة عاد الوفد بـ 279 جنديًا، وفي سنة 1220هـ/1805م أُرسلت بعثه ثالثة إلى تركيا وكانت مكونة من أربعة وعشرون شخصًا يقودهم جنديًا برتبة أشجي؛ أي طباخ للقيام بنفس المهمة.

وذكر حمدان خوجة طريقة أخرى للتجنيد إذ بمجرد أن يدخر بعض الجنود قسطًا من المال يعودون إلى مناطقهم الأصلية لزيارة أهاليهم، وعند ذهابهم يرتدون ملابس فاخرة للظهور في مظهر الرخاء والترف من أجل تحفيز أبناء مناطقهم للانضمام إلى صفوف الإنكشارية بهدف تحسين أوضاعهم وبلوغ المراتب العليا. ونتيجة لهذه الإغراءات كانوا يجلبون أثناء عودتهم عددا من الشُبان ويقدمونهم للدفتردار ليُسجل أسمائهم في قوائم الجند، ثم يتولى يولداش قديم مهمة تدريبهم وتعليمهم واجباتهم الجديدة.

تكاليف عملية التجنيد :

كلفت عمليّة التّجنيد خزينة الإيالة مبالغ ماليّة باهضة تصرف في تأجير الأرض الّتي تقام عليها خيمة التّجنيد، والنفقة على الجنود المقيمين في الخان، ودفع مرتبات الباش دائيات المشرفين على عمليّة التّجنيد وأجرة الإمام والتّرميمات الحاصلة بالخان، إضافة إلى الهدايا الموجّهة إلى الموظّفين السّامين في الدولة العثمانيّة، وحكام الأقاليم الّذين يعملون على تسهيل عمليّة التّجنيد.

ووقع على عاتق الإيالة أيضًا دفع مبالغ مالية لقباطنة السفن مقابل نقل المجندين، ففي شهر ربيع الأول من سنة 1242هـ/أكتوبر 1826م، تم استئجار سفينة انجليزية بـ 2200 ريال لنقل المتطوعين، وفي شهر رجب من نفس السنة استأجروا سفينة أخرى تابعة لنفس الدولة بـ 1600 ريال لنقل ثمانية مجندين قدموا رفقة أحمد شاوش، ومن الإسكندرية قدم 20 متطوعاً على متن سفينة تونسية بمبلغ 100 ريال.

- التّركيبة الآثنية (أصل المتطوعين):

وفد المجنّدون من كلّ المقاطعات التّابعة للدّولة العثمانيّة، سواء المتواجدة بأروبا أو آسيا، ويمكن تصنيفهم حسب المناطق الّتي وفدوا منها إلى صنفين:

- **أتراك الأناضول**: إنّ أكبر عدد من المجنّدين يأتي من مدن الأناضول حيث كتب كلومب *Colomb* ما نصّه:

"De Toutes les Régions de l'empire c'est L'Anatolie qui Fournissait la Majeure partie de Recrutement Algérien"

ونذكر منها ديار بكر، وقارة حصار، وصامصون، وأنقرة، وقونيّة وقرمان، واستانبول وطوقان

أمّا بالنّسبة للصّنف الثّاني ويشتمل **الأتراك غير أناضوليّين**، فينحدرون من المقاطعات الواقعة بالقسم الأوربّي منها روملي ومورة ...ومن مدن بحر إيجه نذكر وكريت وقبرص ورودس.

والجدير بالذكر أن العنصر الأناضولي سجل تراجعا ملحوظا في الفترة الممتدة ما بين 1198 - 1204هـ 1786-1792م، مما أدى إلى بروز الجالية الكريتلية والألبانية على رأس قائمة المجندين وبذلك أصبحت أهمية العنصر الكريتلي واضحة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

وضمت الإنكشارية نسبة من الأعلاج، وهم الأسرى المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام، وتعود أصولهم إلى البلدان المسيحية الواقعة في الحوض الغربي للمتوسط مثل فرنسا واسبانيا وايطاليا وباقي الدول التي تم أسر سفنها من طرف بحارة الجزائر، ويبدو أن نسبتهم في الجيش ارتبطت بالنشاط البحري فلما ضعفت الموارد البحرية قَلّ عددهم خاصة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أين سجل الباحث تال شوفال (Tal Shuval) 147 حالة للأعلاج من مجموع 1460 حالة؛ أي بنسبة 10% فقط، وهي نسبة قليلة إذا ما قُرنت بمجموع الحالات.

وفي السّنوات الأخيرة من تاريخ الإيالة أصبحت تضمّ عناصر قادمة من طرابلس و جبل طارق وليفورنة، وذلك سبب الحصار الّذي فرض على الجزائر خاصّة بعد سنة 1827م، وبعد قضاء محمود الثّاني على الجيش الإنكشاري في الدّولة العثمانيّة في الحادثة المعروفة بالواقعة الخيرية سنة 1826م.